الشريف الرضي
بين عناد غزوان وعزيز السيدجاسم
دراسة مقارنة

ياسر جاسم قاسم*

●مقدمة:

يعـدُّ الشريف الرضي من شـعراء العصر العباسي الذين أحدثوا ثورة في الشـعر العربي أسـهم في إنتـاج مجاميع شـعرية مطولـة وقصيرة لها أساسـيات مـن الوجود الشيء الكثير حيث يقول عنه الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ «ولو قلت إنه اشعر قريش لم ابعد عـن الصدق»[١] ويقول عنـه الدكتور زكي مبارك «الشريف الرضي أفحل شـاعر عرفته اللغة العربية وأعظم شـاعر تنسـم هواء العراق»[٢] ونحن في هذا البحث نريد أن نتناول وبدراسـة مقارنة بين ما تناوله المفكر المغيب عزيز السـيد جاسـم حول شعر الشريف الرضي وما تناوله الدكتور الناقد عناد غزوان حول شعره أيضا إذ قرأ كل منهما الشاعر الرضي من وجهة نظر مختلفة مما يدلل بشكل لا يقبل الشك على موسوعيته وعظمته كشاعر من تراثنا العربي.

فالدكتـور عناد غزوان تناول البناء الفني للقصيدة الشريفية وأوضح المقصود بالبناء الفني للقصيدة العربية قبل الإسلام حتى العصر العباسي وكيفية تطور قصيدة الشريف الرضي أما عزيز السـيد جاسـم فقد تناول الاغتراب في شعر الشريف الرضي وانسحب في تناوله لمسـالة الاغتراب على كل جوانب الاغتراب السـياسي والاجتماعي والجذر القومي للاغتراب السياسي، وغربة الناس وغربة المتفرد واغتراب الحب وغيرها من الجوانب التي تناولها موضوعاً في شعر الشريف الرضي ومنها الحب وغيرها.

---

* باحث واكاديمي

إذن نستطيع القول إن عزيز السيد جاسم اخذ الجانب المعنوي في شعر الشريف الرضي ولم يركز على بناء القصيدة الفني أما الراحل عناد غزوان فقد ركز على بناء القصيدة لدى الشريف الرضي كذلك على المعاني كما سنرى..إذ تناول عصر بناء القصيدة وما طرأ عليه فقد طرأت على البناء الفني العام للقصيدة العربية منذ مطلع القرن السابع الميلادي(سنة ٦٠٩م) أول ظهور الإسلام قبل الهجرة النبوية بثلاث عشرة سنة، إلى العصر الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي –أي مطلع القرن الخامس الهجري- وهو عصر الشريف الرضي الذي ولد في عام (٣٥٩هـ، ٩٦٩م). وتوفى في عام (٤٠٩هـ/١٠١٩م) فهو عاصر القرنين الرابع والخامس الهجريين تغيرات وتطورات فنية كثيرة اقترنت بالمظاهر والمراحل الحضارية التي شهدها الفكر الأدبي العربي في ضوء مستلزمات جديدة[٣] ويعطي عناد غزوان أوصاف عصر الشريف الرضي التي كانت قائمة آنذاك والتي أثرت فيما بعد في شعره ومنها: البديع واختراع المعاني وتغميض الصورة الشعرية وحياة الترف والرفاه والدعة وما طرأ على الحياة العباسية من وتطور حضاري مس بعض جوانب الحياة الاجتماعية فبرز شعر المجون والفراغ والدعابة والسخرية غرضا شعريا جديدا في القصيدة العربية العباسية ليعكس ويصور جانبا نفسيا وفرديا واجتماعيا من جوانب تلك الحياة المترفة، أما وصف عزيز السيد جاسم فيكاد يكون مختلفا عن هذا الوصف لعصر الشريف الرضي فقد ذكر عزيز أن عصر الشريف الرضي اتسم بتفاقم الفساد والاحتيال والغدر وهدر الأخلاق وسيادة منطق القوة والقهر والابتزاز والارتشاء وكل المباذل التي تهوي بالمجتمع إلى الحضيض وفي عصره أيضا تعرض الوجود العربي إلى مؤثرات فارسية قوية، فكان البويهيون يسوسون الأمور بأهوائهم ونزعاتهم الطائشة، فيصادرون ويعزلون ويولون، ويقطعون الاقطاعات الواسعة لمن يشاءون فكانوا عاملا مباشرا في سوء توزيع الثروة، مما أدى إلى تفاوت طبقي فاحش واوجد طبقة ممعنة في الترف والنعيم وطلب المسرات والخروج بها إلى حد الشذوذ، ولعل من أسباب ذلك أيضا: ما طرأ على هذا العصر من ضعف الوازع الديني ومن فساد الأسرة بسبب الاختلاط والتزاوج، وبسبب كثرة القيان وإباحة المنكرات، والتعلق بمظاهر الحياة المادية تعلقا شديدا مفرطا فقد رأى هذا العصر سيلا هائلا من العناصر الدخيلة، كما نشطت فيه تجارة الرقيق، كل ذلك ساعد على الانحلال الاجتماعي، بحيث صارت محلات القيان والغلمان أمرا معتادا يتردد عليها الناس ويرتادها الكثيرون وتطرح فيها الحشمة وكانت مجالس الأشراف والوزراء «تألف هذا النوع من الحياة التي أصبح فيها المجون والخلاعة نوعا من الترف الحضاري والتظرف الاجتماعي»[٤]، ركز كلا الناقدين عزيز وعناد على مسالة المجون التي رافقت هذا العصر ولكن الدكتور عناد أشار إليها من خلال الشعر ووصفه لشعر تلك الحقبة أما عزيز السيد جاسم فقد أشار إليها صراحة بوصفه تلك الحقبة واختلفا بعض الشيء لا سيما بوصف الحقبة من قبل عزيز بتعرض الوجود العربي إلى الخطر أما عناد غزوان فلم

يركز كثيرا على هذه المسألة.
في ظل هذا المناخ ولد الشريف الرضي وهذا المناخ كان جامعا بين حب التراث والدعوة إلى الحداثة تطرفا واعتدالا تقليدا وتجديدا، مدحا وقدحا وهنا يعلق د.عناد إن الشريف الرضي كان فخورا بنسبه الشريف ومبادئ دينه الحنيف كما كان حريصا على تراثه وعروبته[٥]، وتعد هذه إشارة من عناد غزوان إلى أن عصره قد تعرضت فيه الهوية العربية للخطر كما أشار عزيز السيد جاسم ولكن كما قلنا لم يذكر الدكتور عناد هذه المسألة صراحة ويقول المرحوم عزيز السيد جاسم بما عده مقاربة فكرية مع الدكتور عناد غزوان «إن شعر الشريف الرضي مليء بافتخار الحسب والنسب فالنبي جده والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والده »[٦] فمن قوله يفتخر ويذم الزمان في قصيدة مطلعها:

أتذكر اني طلب الطوائل
أيقظتما مني غير غافل
إن أمير المؤمنين والدي
حز الرقاب بالقضاء الفاصل
وجدي النبي في آبائه
علا ذرى العلياء والكواهل
فمن كأجدادي إذا نسبتني
أم من كأحيائي او قبائلي[٧]

وقال وهو يفتخر بآبائه عموما:

لنا الدولة الغراء ما زال عندها
من الجور واق أو من الظلم منصفُ
بعيدة صوت في العلى غير رافع
بها صوته المظلوم والمتخيف
ونحن اعز الناس شرقا ومغربا
وأكرم إبصار على الأرض تطرف[٨]

ويعلق عزيز السيد جاسم، إنه بالرغم من أن القصيدة تصل إلى هدف محدد يتعلق بوالده السيد (أبي احمد الموسوي) ألا إن الابتداء الفخاري بالحسب والنسب واللقب وبالتاج النبوي الأكبر، سرعان ما يتدرج إلى لازمته الضرورية التي لا مناص منها، وهي التفجع ومرارة التأسي[٩] والتي سنأتي على ذكرها.
كذلك ذكر الشريف الرضي أباه في أكثر من موضع فيذكره في قصيدة يقول فيها:

نصافي المعالي والزمان معاند
وننهض بالآمال والجد قاعد
فدى لك يا مجد المعالي وباسها
فعال جبان شجعته الحقائد
فما تركت منك الصوارم والقنا
ولا اخذت منك الحسان الخرائد
وما كنت الا السيف يمضي ذبابه
ولا ينصر العلياء من لا يجالد[١٠]

كذلك قال في مدح ابيه سنة ٣٧٤هـ، من قصيدة طويلة تبلغ ١١٩ بيتا ومطلعها:

بغير شفيع نال عفو المقادر
اخو الجد لا مستنصرا بالمعاذر[١١]

أما الدكتور عناد غزوان فيتناول قصيدة الفخر الذاتي والحماسة ويعدها من القصائد التي عرف بها الشريف الرضي في حياته الأدبية والسياسية إذ تجلى فيها، كاشفا عن طموحه بطلا يقود الفرسان ليسنده في ذلك تراث نسب وبطولة عريقة في التاريخ العربي والإسلامي، فقصيدة الفخر عند الرضي تمثل بالإضافة إلى عاطفتها الحماسية الصادقة مثله وقيمه الأخلاقية الرفيعة التي صيرته فارسا يتمتع بأخلاقية عالية. إن قصيدة الفخر والحماسة من حيث بناؤها الفني المتمثل بمقدمتها

وحسن تخلصها ووحدتها الموضوعية ذات ثلاثة ألوان فهي: أما قصيدة فخر وشكوى من زمان بما يشبه المقدمة البدوية المتضمنة ذكر الديار والبرق والليل وبعض ذكريات الشاعر كقوله:

أيا لله ! أي هوى أضاءا
بريق بالطويلع إذ تراءى
المَّ بنا كنبض العرق وهنا
فلما جازنا ملأ السماءا

حيث تؤلف هذه المقدمة ٢٣ بيتا يتخلص بعدها إلى الفخر ابتداء بالبيت الرابع والعشرين إلى نهاية القصيدة:

انا ابن السابقين إلى المعالي
إذا الأمد البعيد ثنى البطاءا
إذا ركبوا تضايقت الفيافي
وعطل بعض جمعهم الفضاءا[١٣]

كما يعد قضية مدحه لأبيه جانباً من جوانب الفخر فقد تكون مقدمته الذاتية من هذا النوع متفائلة ويعلق عناد غزوان عليها: وهي قلما يذكرها الشاعر في مدائحه[١٣] ومثالها ما يقوله في أبيه (سنة ٣٨٠ ه)من قصيدة مطلعها:

انظر إلى الأيام كيف تعود
والى المعالي الغر كيف تزيد[١٤]

كذلك يذكر المرحوم عناد غزوان مدح الشريف الرضي الذي كان على شكل شكر وثناء بمقدمة تصف طيف الحبيب يذكر من خلالها بعض همومه وشكواه من الزمان مع إشارات واضحة إلى الاعتزاز والفخر الذاتي-وهو ما يهمنا في هذا المجال- ، كقصيدته التي يشكر بها الشيخ ابا الفتح عثمان بن جني النحوي على تفسير إحدى قصائد الشاعر:

أراقب من طيف الحبيب وصالا
ويأبى خيال ان يزور خيالا
وهل أبقت الأشجان إلا ممثل
تعاوده أيدي الضنا ومثالا
الم بنا والليل قد شاب رأسه
وقد ميل الغرب النجوم ومالا
واني اهتدى في مدلهم ظلامه
يخوض بحارا أو يجوب رمالا[١٥]

ولاشك في أن مقدمات المدح هذه في قصيدة الشريف الرضي وما حوت من هموم وشكوى وفخر ذاتي وهو ما يهمنا هنا تمثل مدى التطور الحضاري الذي شهده عصر الشريف في القرن الرابع للهجرة على وجه الخصوص، فهي عباسية النكهة والصنعة والروح من الناحية الفنية، فيها أصالة الرضي في التجديد والحركة في فنه الشعري، ويعلق هنا عناد غزوان إن فيها الأصالة الذاتية المنطلقة من واقع الذات في آمالها وهمومها وشكواها وطموحها، فيها انتماء عربي عميق لجذور القصيدة العربية القديمة بوصفها تراثا فكريا أصيلا يجسد خصوصية الفكر الأدبي العربي بين آداب الأمم والشعوب الأخر[١٦] كذلك فإن الفخر والحماسة نراهما لدى الشريف الرضي بقصيدة تتمتع بوحدتها-كما يقول عناد غزوان- الحماسية المتكاملة معبرة عن فخرها الذاتي المنسجم مع تطلعات وطموح الشاعر[١٧] كقوله:

لغير العلى فني القلى والتجنب
ولولا العلى ما كنت في الحرب ارغب
اذا الله لم يعذرك فيما ترومه
فما الناس إلا عاذل أو مؤنب[١٨]

إن هذه الحماسية المتكاملة بوحدتها الموضوعية

اقرب إلى الوصف المستلهم من امتزاج الفخر الذاتي بالوصف الحربي الحماسي الذي يقدم فيه الشاعر النموذج أو المثال لجو المعركة بسلاحها وآلاتها وخيلها وفرسانها ثم يرسم فارسه النموذج ويعبر عن تصوره للثورة التي يتمناها أن تتحقق كما أنه يصور نفسه بطلا ثائرا[١٩] يقول عناد غزوان «ان أروع القصائد الحماسية التي عدها الدكتور زكي مبارك نشيد الفتوة العربية[٢٠] لما فيها من جذوة حماس متقد ومن رجولة فذة» ولم ينتبه الناقد عناد غزوان لما في هذه القصيدة من بدوية واضحة تشيد بصفات الرجولة والفروسية كما يعدها الشريف الرضي وهي في حقيقتها قصيدة تعمل على إذكاء الصفات العنفية التي امتازت بها بعض شواهد تاريخنا فكان من الأحرى بعناد غزوان إن ينتقد مثل هذه القصائد ولا يشيد بها مطلقا إلا من جوانب لغوية بلاغية فقط، أما أن تكون نشيدا للفتوة العربية كما يعبرون أو غيرها فهي أولا وأخيرا قصيدة عنفية تعطي صفات عنفية وتبين أن الرجولة والسيادة تقع بالسيف لا بغيره. وقد بلغت ٤٣ بيتا:

نبهتهم مثل عوالي الرماح
إلى الوغى قبل نموم الصباح
فوارس نالوا المنى بالقنا
وصافحوا أغراضهم بالصفاح
لغارة سماع إتيانها
يغض منها بالزلال القراح
ليس على مضرمها سبة
ولا على المجلب فيها جناح[٢١]

هنا نرى امتزاج الفخر الذاتي بالوصف الحربي وهو ما يهمنا. إذ نرى كذلك أن جانب الفخر أهتم به كل من د.عناد غزوان والمرحوم عزيز السيد جاسم فقد شكل هذا الجانب أهمية كبيرة في شعر الشريف الرضي أراد من خلاله أن يظهر لأعداء البيت الهاشمي موقعه ومنزلته الرفيعة.

● الإنتماء للعروبة:

وفيما يخص الانتماء للقصيدة العربية الذي ذكره الراحل عناد غزوان كما تطرقنا إليه في أعلاه نرى تركيز الراحل عزيز السيد جاسم على أن الشريف الرضي إنتماؤه للقصيدة ينبع من انتمائه للفكر العربي وقوميته وأصالته وفي ذلك يقول عزيز السيد جاسم «ويمكن تقدير غربة الشريف الرضي، الذي رفع شعاره السياسي (الخلافة العربية، المجد العربي، بعث ذي قار) في مقارعته السلطة البويهية، فقد كانت أكثرية العوام مخمدة، تابعة ذليلة، تشترى بالعطايا الضئيلة، وتساق بعصا البطش»[٢٢] والملاحظ أن عزيز السيد جاسم يذكر صراحة سبب الانتماء العروبي الأصيل لدى الشريف الرضي أنه كان بسبب الوضع السياسي المتردي بسبب سيطرة البويهيين الفرس ولكن عناد غزوان لا يذكر هذا الشيء وأنما يذكر فقط أنه لديه أنتماء عربي أصيل للقصيدة العربية وكما مر أي كأنما هو يشير إلى ذلك ضمنا. فالانتماء للقصيدة العربية هو الانتماء للعروبة والدفاع عنها. كذلك فإن عزيز السيد جاسم يعطي للجذر القومي لدى الشريف الرضي أهمية كبيرة مع اعتراضنا على لفظة الجذر القومي التي أستخدمها الراحل عزيز السيد جاسم فهي نظرة قومية لمبدأ العروبة من الممكن أن ننظر إليها نظرة إنسانية ونعتز بهويتنا ضمن الأصالة العربية.

ركز عزيز السيد جاسم على الأصل القومي للاغتراب فالشريف الرضي من حيث الهوية القومية عربي الأصل والنشأة وكذلك عربي النزعة والاتجاه –وهنا استخدام عزيز السيد جاسم للفظة الهوية القومية فيها شيء من الارتكاز البعيد عن المفهوم الإنساني –فهو لو يستخدم لفظة الهوية العربية بعيدا عن لفظة القومية فإنها تكسب النص بعدا إنسانيا اكبر- وهو في اغلب شعره الإفتخاري كان يبث أفكاره العربية لا بصورة افتخار شخصي منعزل كما يعبر السيد جاسم وإنما في موقف موحد فردي وقومي فهو إذ يفتخر بنفسه وبأهله، فإنما يرمي بكل ثقله التاريخي لصالح أمته العربية، كما انه في الوقت عينه يذكر مجد العشائر العربية وبطولاتها في معرض الافتخار الذاتي[٢٣]، والواضح من كلام المفكر عزيز السيد جاسم أن هذه مزاوجة بين الافتخار الذاتي والجذر العربي فقصائد شعره التي تتضمن أفكاره العربية تربط الذاتي والقومي ربطا محكما وطبيعيا تماما فترد أشعاره عن شجاعة قبائل عربية بالقوة الافتخارية نفسها التي يرد فيها ذكر شجاعته، وشجاعة قومه، أو بالاسترسال نفسه، وغالبا ما تنمو القصيدة وهي تنتقل من شجاعة الأهل والقوم إلى شجاعته الشخصية أو بالعكس، لان الرابطة بين الذات والأهل والعروبة هي رابطة موحدة تشكل ركيزة عضوية واحدة في حياة الشريف الرضي وهذا مما فصله عزيز السيد جاسم فيما يخص الانتماء العروبي للقصيدة الشريفية ولصاحبها ولم يدخل في تفاصيله الناقد الراحل عناد غزوان بل اكتفى بالإشارة إلى عروبة القصيدة الشريفية. فهو يذكر بمعركة ذي قار، مذكرا بالقدرة العربية الغلابة، التي وان مرت بأزمات صعبة إلا أنها ذات أساس تاريخي:

نذكركم بذي قار طعانا

وما جر القنا يوم الكلاب[٢٤]

وبالنسبة لكثير من الشعراء قد ترد النزعة العربية بصورة كلمات مفردة أو أبيات شعر محدودة لمناسبة معينة، لكنها عند الشريف الرضي ذات أولوية فكرية ومصيرية تكتسح كثيرا من الأحيان الاهتمامات العاطفية الأخرى لتظل سيدة الموقف في القصيدة، وقال الشريف الرضي يجسد عروبته والمضمون الذي يجب أن تكون عليه:

إذا عربي لم يكن مثل سيفه

مضاء على الأعداء أنكره الجد

وفي هذا البيت نرى كيف أن صفة السيف ملاصقة للعربي وهي من الصور المؤلمة التي تعكس التاريخ الدموي الذي ابتلى به العرب والمسلمون وانعكس حتى في أدبهم.

ولكن للأسف نرى تعليقا ممجدا لهذا البيت من قبل المفكر عزيز السيد جاسم إذ يقول:

ثمة وصفٌ جميلٌ لو قلنا إن العربي كالسيف، وأجمل منها لو قلنا إن السيف كالعربي، لكن قولة الشريف الرضي «اذا عربي لم يكن مثل سيفه» خرجت عن نطاق البلاغة الشعرية، الوصفية، أو الاستعارية، خرجت من المعرفة المتدبرة، ودخلت في عظمة الفطرة النبيلة، التي هي المصدر الأول لكل معرفة منزلة، لا يحس المتلقي إلا بالإحساس الواحد، وهو يقرأ أو يسمع إنشاد الشريف الرضي، إن العربي والسيف توأمان ولدا في اللحظة الواحد، وبالصورة الواحدة وبالأجل الواحد

الـذي لا مبدل له. فالعربي سـيف، والسـيف عربـي، وهما منـذ الأزل العربي كائـن واحد، لا يصلـح هذا بغـير(ذا) ولا ذا بغـير هذا، وان مجرد القول بـ (هـذا) و(ذاك) يعني المباعدة التـي لا تقبل، وإنها لحقيقـة تاريخية مؤكدة أن العرب حينما (وكلما) نسـوا وتناسوا معنى القـوة في هـذه المطابقـة بين العربي وسـيفه، كان السقوط مصيرهم المداهم. ففترة الازدهار العربـي هي فـترة تطبيق المقولـة التي جلجل بها الشـاعر الشريف بن الشريـف، إما فترات الانحطـاط، والانهيـار، فهي التـي افترق فيها العربـي عن سـيفه في تيـاه الغفلة. إمـا ماذا قالـت القصيدة قبل أن تصـل إلى حكمة البيت المذكور فذلـك ما يعنيه التـدرج العزيز لمرقى الحب المفجـوع الذي يبتدأ بقوة حكمة المطلع. فتاتي الأبيات المتلاحقة وكأنها مطالع وخواتيم زاهرة ومعذبة حيثما تواصلت مظنة العبقرية للشـاعر الملهوف الذي وضعه العز بين الطرب والخذلان مثل زيت يحترق:

لأي حبيب يحسن الرأي والود
وأكثر هذا الناس ليس له عهد
أرى ذمي الأيام ما لا يضرها
فهل دافع عني نوائبها الحمد
وما هذه الدنيا لنا بمطيعة
وليس لخلق من مداراتها بدُّ
تحوز المعالي والعبيد لعاجز
ويخدم فيها نفسه البطل الفرد
أكل قريب لي بعيد بوده
وكل صديق بين أضلعه حقد
ولله قلب لا يبل غليله
وصال ولا يلهيه عن خله وعد
يكلفني أن اطلب العز بالمنى
وأين العلى إن لم يساعدني الجد
احن وما أهواه رمح وصارم
وسابغة زعف وذو ميعة نهد
وليس فتى من عاق عن حمل سيفه
أسار وحلاه عن الطلب القد
إذا كان لا يمضي الحسام بنفسه
فللضارب الماضي بقائمه الحد

ويأخذ التصعيد مـداه في البيت الأخير ويلحقه بصورة ثانية:

وما ضاق عنه كل شرق ومغرب
من الأرض إلا ضاق عن نفسه الجلد

ويعلق عزيز السـيد جاسم على هذه القصيدة: إن العـرب كانوا يسـيحون شرقـا وغربا وهم يدرعون بالحق، يحملون راية الحق، ويشهرون سـيوف الحق، فخطوا بأقلامهم، مع سيوفهم، رسـوم الحضارة العربية المجيدة وأبعادها[٢٥] والذي يلاحظ كلام عزيز السـيد جاسم يمكنه ان يسجل الملاحظات الآتية عليه:

١-أنهـا لكارثة كبـيرة أن يقرن اسـم العربي بالسيف أي إن المعادلة تكون بالشكل الآتي:

العربي= السيف

ولا يسـتقيم الأمـر للعربي إلا بوجود السـيف معه ولا يستقيم السيف الا بوجود العربي معه فهـذه الصورة المتلازمة بين العربي والسـيف والتي يراها عزيز السـيد جاسم مدعاة للفخر بالعروبـة في شـعر الشريـف الـرضي نعدهـا انتكاسـة في شـعر الشريف الرضي وتكريساً لصـورة الإرهـاب التـي عليهـا العـرب والتي صوروا بها سبب تراثهم كما يصوره الشريف الرضي في هذا المقطع من شعره.

٢-والأدهـى من ذلك أن عزيز السـيد جاسـم يرى سقوط العرب وانحطاطهم سببه تركهم للسيف هذا ما جاء في تفسيره للبيت «إذا عربي

لـم يكن مثـل سـيفه...»، أي ان العرب لاشيء في علمهـم وعلومهـم المكونـة لحضارتهم وأن حضارتهم مبنية على الدماء والسيوف ومنطق القوة والغلبة.

٣-يذكـر مالك بـن نبـي أن شروط الحضارة هـي الجمـال والأخـلاق ولـم يذكـر السـيف فالمعادلة الآتية تلخص فكر مالك بن نبي حول الحضارة[٢٦]:

مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي= اتجاه حضارة ـ ١

والـذي لا يملك هذين المقومين لا يملك حضارة أما عزيز السـيد جاسـم فقد بين أن الحضارة العربية تستند على مفهومين هما:

السيف +القلم= الحضارة ـ٢

وهـذا ما ورد لديـه في قوله«إن العرب خطوا بأقلامهم مع سيوفهم رسوم الحضارة العربية المجيدة» وكما مبين في أعلاه.

وهـذه كارثة كبيرة بـين المفهومين فلا يوجد في الحضـارة العربيـة حسـب المقارنـة بـين المعادلتـين (١) و(٢) لا خلـق ولا جمال.هـذا حسـب مفهوم عزيز السيد جاسـم الذي أوقع نفسـه فيه بإشـكالية كبيرة ولكـن الحضارة العربيـة إلى جنب السـيف كان فيها من جمال الأدب والشعر والحكمة والفلسفة الشيء الكثير الـذي لم يركـز عليه عزيز السـيد جاسـم بل اكتفـى بالنظرة إلى السـيف والقلـم والتمجيد بهما من خـلال مقطوعة الشريف الرضي آنفة الذكـر والتي مـن الممكن اعتبارهـا من التراث السـيئ للعرب والذي يثير الضغائن والمفاهيم الإرهابية.

٤-يرى عزيز السيد جاسم البيت «إذا عربي لم يكن مثل سـيفه...»من بيـوت الحكمة في حين انه لم يحو أية صورة حكمة بل احتوى صورة مـن صور الإرهاب والتاريخ غـير الجيد لبعثه وتمجيده.

٥-هذا الكلام لعزيز السـيد جاسـم الذي ورد في أعـلاه معلقا فيه على شـعر الشريف الرضي لم يكـن نهضوياً ولا تنويريا بـل على العكس عمل على إعادة بعث ماض غير جيد تمثل بهذه القصيـدة للشريف الرضي كما أنه كلام يكرس النظـرة القوميـة للعرب كأمة وليـس النظرة الإنسانية لديهم.

٦-كمـا يرى عزيـز أن هذه القصيـدة «عربية المهابـة إذن» ولكن المهابة للعرب لا تنطلق من هذه الصور المأساوية للتاريخ والمهابة لا تتأتى من السيف بل تأتي من الجال والأخلاق والحلم والعلم وهذا هو شان الأمم.

٧-لقـد جانـب الصواب عزيز السـيد جاسـم بهـذا الموضوع كثيرا جـدا عندما جعل العربي والسـيف وجهين لعملة واحدة حتى أنه يعتبر إذا قلـت عن السـيف (ذا) يجـب أن تقول عن العربـي(ذا) إذا ولا يجـب أن تقـول (هـذا) عن السـيف(ذاك) عن العربي فهـذه من باب المباعـدة التي لا تقبل وهـذه كارثة في التفكير على المسـتوى اللغوي أيضا وليـس التاريخي فقط. ولو ترجم كلامه هذا رحمه الله إلى لغات أخرى لقـال عنا الآخر صحيح اذن ما يشـاع عـن العرب أنهم دعاة إرهاب فهذا مفكر منهم يشـيد بقصيدة عربيـة تمجد السـيف والقتل بدعـوى الحضارة وإشـادتها لشـاعر عربي هـو الشريف الرضي يجب أن يـرد عليها لا أن يفتخر بها.

اما الاغتراب فقد تناوله المرحوم عزيز السـيد جاسـم تنـاولا كبيرا وهنـا يذكر عزيز السـيد

جاسم أنه يمكن اجمال عوامل الاغتراب بشكل عام في عاملين متميزين هما:

١-الاغـتراب الناجـم عـن طبيعة الشـعر، لان كل شـعر هـو تدفقـات صوريـة، لا محدودة وتحليقات شعورية ولا شعورية تاتي في لحظة غياب الشاعر عن واقعه الحسي.

٢-عامل الاغتراب الثاني يوحد جميع الظروف المادية والاسـباب الشـخصية والعامـة المؤدية إلى الغربة والمعاناة الدائمة، وبلاشـك، أن هذه الظروف والاسـباب تلعب دورا كبيرا في تغذية مضامـين الشـعر، وتحديد اتجاه الشـعر، أو تغييره، وتتداخل العوامل تداخلا معقدا[٢٧].

ومنطلـق الاغتراب كما يفلسـفه عزيز السـيد جاسم ينطوي على حقيقتين: المجد والفجيعة، مجد الشريف الرضي، واسرته الذي ينطلق من الحسب والنسـب من الامام علي بن ابي طالب واهل بيت النبي.

وكذلـك فـإن مقاتـل الطالبيـين والفجيعة الحسـينية الكبرى –على حد تعبير عزيز السيد جاسم– فلقد جاء الاغتراب من الفجيعة الاليمة، والمأسـاة التـي لا مثيل لهـا، من تلـك البداية الجليلة، في يوم عاشوراء فيما استشهد الحسين ومعه اولاده وهنا يعلق عزيز السـيد جاسم أنه جـرى مقتل اهل بيت الرسـول بايـدي اناس كانوا يدعون الاسـلام وهذا ما اعطى للماسـاة بعـدا فجائعيا لم يتكـرر في التاريـخ[٢٨]، وقد وصـف الشريف الرضي هذه الفاجعة بقصيدة (رثائية عاشـوراء) التي كتبها عام ٣٨٧هـ وفي مطلعها يقول:

راحل انت والليالي تزول
ومضر بك البقاء الطويل[٢٩]

كما يذكر عزيز السيد جاسم العناصر الاساسية المكونة للاغتراب الروحـي في التجربة الحياتية والشعرية للشريف الرضي وهي:

اولا: الاصل الماساوي للسلالة الهاشمية.

ثانيا: الزهد والمعرفة الدينية وهما من سـمات السلالة ومن ارثهما المنقول من الاباء إلى الابناء.

ومن خلال هذا العامل يبين عزيز السيد جاسم خصائـص عصر الشريف الـرضي التي بيناها سابقا.

أمـا ثالث العناصر المكونة للاغتراب الروحي للشريـف الرضي فهـي تفوقه العقـلي وتمتعه بمؤهلات ومزايا شـخصية كبيرة تتناسـب مع دوره الطليعي ورسـالته الدينية والاجتماعية، وقد تجلت الجدارات العقلية والادبية، ورهافة الشـعور وشـجاعة الطبـع في الشريف الرضي منـذ طفولته فكانـت غربة الـذكاء النادر من سـماته الاولى، فقد قال من احسن الشعر وهو في العاشرة من عمره، وكانت غربة الاحسـاس الصقيـل الانفعالي المرهف قـد بكرت معه منذ طفولته، فلا عجب أن زار الشـيب شعر راسه في العشريـن فبالنتيجـة وصفـه للشـيب هـو أرتباط بالاغتراب الذي يعيشـه حيث ينقل عنه عزيز السيد جاسـم هذه القصيدة بذم الزمان والشباب كيف يولي مسرعا:

ولى الشباب وهذا الشيب يطرده
يفدي الطريدة ذاك الطارد العجل
وما غازل الشيب في راسي بمرتحل
عني واعلم اني عنه مرتحل
من لم يعظه بياض الشيب ادركه
في غرة حتفه المقدور والاجل[٣٠]

وبذكـر المشـيب فقد تكلـم عنه عزيز السـيد جاسم كثيرا إذ يعزو السيد جاسم كثرة الشيب في الشريف الرضي بسـبب تكاثر المصائب عليه

والتي منها سجن والده وفجيعة ال البيت التي اثـرت عليه فيمـا كان عمره ٢٣ سـنة راى في شعر رأسه طاقات بيض فقال:

عجلت يا شيب على مفرقي
وأي عذر لك أن تعجلا

إلى أن يقول:

قل لعذولي اليوم نم صامتا
فقد كفاني الشيب إن اعذلا[٣١]

امـا المرحوم د.عنـاد غزوان فقد ذكر الشـيب كذلك في شـعر الشريف الرضي بوصفه عنصراً اساسـياً وجد في شعره[٣٢] يذكر د.عناد غزوان قصيدة فخر تبدأ بمقدمة عن الشيب:

من شافعي وذنوبي عندها الكبر
إن المشيب لذنب ليس يغتفر

وهي القصيدة نفسـها التي وردت لدى عزيز السيد جاسم كما بينا في أعلاه.

كذلـك يذكـر د.عنـاد غـزوان قصيـدة حول وصـف الشـيب وتعلقه بالزمن حيـث رأى في شـعر رأسـه طاقات بيضـاً وكذلـك في اوائل سـنة ٣٨٣هـوسنه يومئذ ٢٣ سنة وهي نفس القصيـدة التـي ذكرها عزيز السـيد جاسـم وتطرقنا لها في اعلاه والتي يقول في مطلعها:

عجلت يا شيب على مفرقي
وأي عذر لك ان تعجلا[٣٣]

حيـث ركـز عنـاد غـزوان عـلى ارتبـاط هذه القصيـدة بعامل الزمـن وكذلـك يربط عزيز السيد جاسم عامل الشيب لدى الشريف الرضي بالزمن وكما سنرى.

كذلك يذكـر الراحل عناد غـزوان: مدحة تبدأ بذكر المشيب مباشرة وقد ترد فيها أشارات إلى الغزل والحماسة وشكوى من الزمان والعتاب ومنهـا قوله في مـدح الوزير ابـي منصور بن صالح[٣٤]:

أشوقا وما زالت لهن قباب
وذكر تصاب والمشيب نقاب
وغير التصابي للكبير تعلة
وغير الغواني للبياض صحاب
وما كل ايام المشيب مريرة
ولا كل أيام الشباب عذاب[٣٥]

ومدحته في أبيه: سنة ٣٨٠هـ

أرابك من مشيبي ما أرابا
وما هذا البياض علي عابا[٣٦]

وقد وردت كذلك عند عزيز السـيد جاسم كما بينا في أعلاه.

ومدحته في أبي سعيد بن خلف:

ألان جوانبي غمز الخطوب
واعجلني الزمان إلى المشيب
وقالوا الشيب زار فقلت أهلا
بنور ذوائب الغضب الرطيب[٣٧]

ومدحته في احدهم سنة ٣٩٤هـ:

الهاك عنا ربة البرقع
مر الثلاثين إلى الاربع
أنت أعنت الشيب في مفرقي
مع الليالي فصلي او دعي[٣٨]

ومدحته في الطائع لله: سنة ٣٧٧هـ:

مسيري إلى ليل الشباب ضلال
وشيبي ضياء في الورى وجمال
سواد ولكن البياض سيادة
وليل ولكن النهار جلال
وما المرء قبل الشيب الا مهند
صدي وشيب العارضين صقال[٣٩]

وفي مدح الطائع لله أيضا سنة ٣٧٧هـ:

أراعي بلوغ الشيب دائيا
وأفنى الليالي والليالي فنائيا[٤٠]

وفي مدح الطائع لله أيضا سنة ٣٧٨هـ:

لون الشبيبة أنصل الألوان

والشيب جل عمائم الفتيان[٤١]

ومثلها في مدحته لابيه:سنة ٣٧٩هـ:

ما ابيض من لون العوارض أفضل

وهوى الفتى ذاك البياض الأول

كنا قد تكلمنا في اعلاه أن عزيز السيد جاسم يربط عامل الشيب لدى الشريف الرضي بالزمن ووعدنا بتناوله من حيث ارتباط الشيب بالزمن يشير اليه عزيز السيد جاسم ان الشاعر بتعامله مع الزمن كان يراقب سرعة انقضاء الاوقات الهنيئة، لقد تخللت دماغه ونفسه، فكرة الضياع والتبدد حيث كانت الحقوق تضيع، والفرص تهدر والجمالات تتباعد فلا يتبقى الا الحرمان وكبر النفس وتمر السنوات مسرعة كان الشباب ومضة وليس مرحلة كبيرة من العمر.

وما بين العشرين والثلاثين من العمر يتملى نفسه فإذا بغربان الليالي التي تنعق نعيقا لا يتوقف تطير غراب رأسه فتحل محطة الثلاثين من العمر والشاعر قد تلفع رأسه بالشيب فكامله وصفا وعتابا وذما وتحسرا واسى، ويبلغ الاغتراب الزمني بالشاعر مبلغا مساويا فراى الثلاثين عمر اللاعودة، حيث يضيع الصبا مثلما ضاعت الآمال النخلات التي حنظلت حين عبر عن ذلك قائلا:

غرست غروسا كنت ارجو لحاقها

وامل يوما أن تطيب جناتها

فإن اثمرت لي غير ما كنت املا

فلا ذنب لي ان حنظلت نخلاتها[٤٢]

وبالرجوع إلى قصيدة:

عجلت يا شيب على مفرقي

وأي عذر لك أن تعجلا

والتي ترك كلا الناقدين إيرادها والتعليق عليها حيث لم يكد يعلق عليها عزيز السيد جاسم سوى بأمور عامة حول المشيب وارتباطه بالزمن وما تناولناه في ما مر ذكره اما عناد غزوان فقد علق على هذه القصيدة بالذات بما نصه:

تقع هذه القصيدة في تسعة عشر بيتا غير مصرعة المطلع، يجسد فيها الشاعر معنى الشباب، ذي الدلالة المتحركة الواعية التي تمثل الوجه المشرق، والمظهر المتألق للزمن في حياة الإنسان الزمن بمعناه الفكري الفلسفي الذي يعني توهج الإنسان بالخصب والعطاء وخاصة عند الرضي الطموح منذ نعومة اظفاره فالزمن مشحون بالمغزى بالنسبة للإنسان كما قيل لان الحياة الإنسانية تعاش في ظل الزمن ولان السؤال من أكون؟ يصبح بعيدا فقط بمعنى (ماذا صرت انا؟) أي بمعنى الوقائع التاريخية الموضوعية مضافا إليها نمط الترابطات التي لها مغزى والتي تشكل بدورها السيرة الحياتية أو هوية الذات الشخصية فالشباب عند الرضي ذو قيمة زمانية، يختلف عن أولئك البلداء الذين تختفي عندهم مثل هذه القيمة فهم عار الزمان إذا صح التعبير، والشباب عنده ضرب من التجدد فإذا اطل الشيب عليه يبدو وكأن هذا الشيب ضرباً من التحدي لذلك التجدد والنماء حيث يبدأ الفزع النفسي كما يظهر ذلك من الأبيات الأولى من هذه القصيدة، وأن كان الشاعر يحاول إخفاء هذا الخوف من خلال جدلية الطباق البلاغي الذي صورته هذه الأبيات(جاء)(مضى) (انجلى) (كان لي

أولا)(صحا) و(ليل) ثم يستمر الرضي بوصف هموم الشـيب هذا المتحـدي الجديد المبكر عن شـبابه العنصر المتوهـج الفعـال، فيتولد هذا الصراع الداخلي في ذات الشـاعر بين الشـباب –التجربة المشـحونة بالمعنى والشـيب الخبرة والوقائـع التاريخية في حياة الإنسـان لينتهي ذلـك الصراع نهاية الاعتراف بالواقع حين يلوذ الشاعر بالشـيب درعا يقيه نوائب الدهر، فقد طابت نفسه لأنه قدره أنه كالردى انه كالموت:

طبت به نفسا ومن لم يجد

إلا الردى، أذعت واستقبلا

فقـد أنس الشـباب والشـيب بعمـر الشريف الرضي فصـارا زمنه ورمز وجوده وحياته من خلال هذه النظرة إلى الشـيب دبت شكواه من الزمان وبدأت تسري في أكثر قصائده وتتغلغل في عـروق وجدانه الشـعري حيث وجدت فيها تنفيسـا حـرا عن كوامـن الأسى التـي أججها الشـيب المبكـر في حيـاة هـذا الشـاب المتوقد حـرارة المتوهج طموحا نحو المجد والعلى، هذا ما تناوله د. عناد غزوان معلقا حول القصيدة التي وردت نفسـها عند السيد جاسم وكلاهما أكـد عـلى مفهـوم الزمـن وعلاقته بالمشـيب والشـيب ولكـن للشـيب غرته لـدى الشريف الرضي والغربـة علاقتها بالزمن وطيدة أيضا، كمـا إن تركيز عناد غزوان عـلى قضية الزمن لـدى الشريف الـرضي وتأثيرها في شـعره من خلال الشـكوى من الشـيب وغيره، اما السيد جاسـم فيجعل هناك مقارنة بين نظرة المعري إلى الزمـن ونظرة الشريف الرضي إليه، ويذكر السيد جاسم أنه كانت للمعري نظرة وجودية وعقلية، مشـتركة لا تلقي بالاتهام على الزمن، وإنمـا عـلى البشر الذيـن حق عـلى الزمان أن يشكوهم لو استطاع تكلما:

قال المعري:

نبكي ونضحك والقضاء مسلط

ما الدهر أضحكنا ولا أبكانا

نشكو الزمان وما أتى بجناية

ولو استطاع تكلما لشكانا

اما الشريـف فقد كان يـرى في الزمان خصما لدودا لأنه الزمن الـذي آل إلى فجيعة ال البيت أجـداده – هـذا مـا ركـز عليـه عزيز السـيد جاسـم- وشـهد دماءهم المتناثـرة على ارض كرب وبلاء، وهو الزمن الذي شهد سجن ونفي أبيه، ومصادرة أملاكه، وهو الزمن الذي يسوس فيه الأمور العلوج على حد تعبيره والسفهاء فيما يتعـرض فيه أهل الرئاسـة الحقيقـة إلى المحن والمصائب ورغم إن الزمن مزدوج تارة كما يقول:

كل شيء من الزمان طريف

والليالي مغانم وحتوف

إلا أن لعبة الزمن ثابتة:

عادة للزمان في كل يوم

يتناءى خل وتبكي طلول

فالليالي عون عليك مع البيـ

ـن كما ساعد الذوابل طول

فنظرة الشريـف الرضي إلى الزمـن هي نظرة سياسية بامتياز.

فالزمـن والاغـتراب يمثـلان السـيرة الحياتية والوقائـع التاريخيـة وهذا ما ركـز عليه عناد غـزوان. فبالتـالي ربـط كلا الناقديـن مفهوم الزمن بالوقائع التاريخية التي وقعت للشريف الـرضي وسـببت اغـتراب الزمن لديـه، ولكن عزيز فصـل هذه الحوادث بشـكل أكبر وذكر أرتباطاتهـا بال بيت الرسـول أما عناد غزوان فاكتفى بالاشارة اليها من خلال اشارته عموما

للوقائع التاريخية والسيرة الحياتية للشريف الرضي فقط.

وعزيز السيد جاسم يبين أن الشريف الرضي في لعبة الزمن مغترب كبير مهدور الطموحات كثير الشقاء شديد التحسس للماضي، بذهاب اقوام وحتمية ذهاب اخرين، وهو يرى الدهر وسط الاغتراب، فهو لم ينصره يوما ما، بل احاطه بالخذلان فقال:

فمالي طول الدهر امشي كأنني
لفضلي في هذا الزمان غريب
إذا قلت قد علقت كفي بصاحب
تعود عواد بيننا وخطوب

ويقول:

يقولون نم في هدنة الدهر امنا
فقلت ومن لي إن يهادنني الـــــدهر
هل الحرب الا ما ترون نقيصة
من العمر أو عدم من المال أو عسر
فلا صلح حتى لا يكون لواجد
ثراء ولا يبقى على وافر وفر[٤٣]

ويستجيب الشاعر أحيانا إلى دعوة العقلاء الداعين الى مسايرة الدنيا، ولكنه يرى أن الدنيا مهما دخل في مداراتها، فإنها مخادعة حتى في زخرفها العلني ومتاعها اللذيذ، وهو يشدد على عدم الانخداع بها:

هيهات يا دنيا وبرقك صادق
أرجو فكيف إذا وبرقك كاذب

ومهما أوتي من قوة لارغام نفسه على مسالمة تصاريف الزمان، فإن النجاحات لم تكن بمستوى المامول، بل دون ذلك بكثير.

ويعلق عزيز السيد جاسم أن الشريف الرضي كثيرا ما حمل شعره ردا على نفسه، وهو في مونولوج الحوار الداخلي، وتذكير نفسه بضرورة توفر الناصر والمعين، فيما لا يجني من محاربة الزمان شيئا، لانه في تلك المحاربة يبقى قليل الناصر، فيقول:

سالم تصاريف الزمان فمن يرم
حرب الزمان يعد قليل الناصر

كذلك حمل شعره ردودا على الذين قالوا له بضرورة مماشاة الدهر لخصها بقوله:

يقولون ماش الدهر من حيث ما مشى
فكيف بماش يستقيم واظلع
وما واثق بالدهر الا كراقد
على فضل ثوب الظل والظل يسرع
وقالوا تعلل إنما العيش نومة
يقض ويمضي طارق الهم اجمع
ولو كان نوما ساكنا لحمدته
ولكنه نوم مروع مفزع[٤٤]

وبالرجوع إلى الراحل عناد غزوان الذي شخص مديحا على لسان الشريف الرضي بدأه بمقدمة ذاتية حزينة فيها وصف لهموم الشاعر وآلامه وخيبة الأمل والعتاب وقد وردت في مدحته في أبي علي:

أماني الناس ما تناخ ركابها
وغيبة حظ لا يرجى إيابها
ووفد هموم ما أقمت ببلدة
وهن معي إلا وضاقت رحابها[٤٥]

وقد أشار الراحل عزيز السيد جاسم إلى أشعار كثيرة تدلل على هموم الشاعر وآلامه وخيبة الأمل والعتاب لديه ومنها: إن الشريف الرضي ورث في روحه ودمه الفجيعة الحسينية لكن الدهر لم يترفق به في حدود ذلك بل ادخر له أمرا عظيما ومنها سجن أبيه الذي كان سنده الكبير والشخصية العظيمة التي حملت قبسا من نور أهل البيت وحكمتهم وعدالتهم.

فالهموم التي ورثها الشاعر والآلام وخيبة الأمل التي تكلم عنها الراحل عناد غزوان فصلها أكثر عزيز السيد جاسم بظاهرة الاغتراب ومنها ما ورد في أعلاه وكذلك ورث آلاماً من نوع آخر إبان الغزو البويهي لبغداد فكان يعاني من آلام واغتراب المعنى الاجتماعي، عندما وجد الشريف انعدام الناصر بالدلالة الاجتماعية، وكان ذلك يعني في اقل تقدير أن جماعة الناس التي لم تنصره، كانت تنصر العدو المباشر للعرب وهو السلطة البويهية، حيث قرر الشريف الرضي ضمن قصائده انعدام العهد في أكثرية الناس وهو القائل:

لأي حبيب يحسن الرأي والود
وأكثر هذا الناس ليس له عهد

ثم قوله:

أكل قريب لي بعيد بوده
وكل صديق بين أضلعه حقد

كذلك تصعد عنده –على حد تعبير السيد جاسم– حدة التشخيص والإدانة درجة عالية فيعلن:

الناس حولك غربان على جيف
بله عن المجد إن طاروا وان وقعوا
فما لنا فيهم إن اقبلوا طمع
ولا عليهم إذا ما أدبروا جزع

ويرى بنفسه أن الناس هم الداء وأن الصراع بين العاقر والمعقور صراع المفترس والفريسة، هو الذي يطغى على ما عداه فيالضغينة من يرنو إلى القضية يقول[٤٦]:

يطيب النفس عن قطعي علائقها
إني أفارق من فارقت معذورا
كن في الأنام بلا عين ولا أذن
أو لا فعش ابد الأيام مصدورا
غيب الرجال ظنون قبل مبحثه
فما طلابك أن تلقاه موفورا

أيضا سوء الزمن وآلامه يدفع الشريف الرضي إلى أن يقول كما ينقل عزيز السيد جاسم:

سئمت زمانا تنتحيني صروفه
وثوب الأفاعي أو دبيب العقارب
مقام الفتى عجز على ما يضيمه
وذل الجريء القلب إحدى العجائب

نجد ثمة حقيقة شاخصة في شعره وهي اعتزازه بعلو مكانته وشرفه، وما المصائب والهموم التي حلت به إلا الثمن الذي لا بد للشريف من تقديمه وقال في أبدع تعبير:

وضيوف الهموم مذ كن لا ينـ
زلن إلا على العظيم الشريف

فهو إذ يعتز بكرامته وكبريائه وحريته وعزته يعلم الآخرين أيضا الاعتزاز بالكرامة، رفض الذل وتأخذ أشعاره في ميدان مكافحة الذل وعاره مكانة الحكم والمأثورات الغالية[٤٧]:

فهو يقول:

وموت الفتى خير من حياته
إذا جاور الأيام وهو ذليل

وكذلك يقول:

وكل فتى لا يطلب المجد أعزل
وكل عزيز لا يجود ذليل

و:

لا تخلدن إلى أرض تهون بها
بالدار دار وبالجيران جيران

و:

الحر تنهضه أما شجاعته
إلى الملم وإما خشية العار[٤٨]

كما أن جزءاً كبيراً من آلام الشاعر الرضي هي غربة الاصدقاء ويعلق عليها عزيز السيد جاسم

أنهـا الحالة الثانية من الاغـتراب الخانق الذي يسد ابواب التضامن الاخوي والروحي بوجهه، والشريف الرضي كسب الاصدقاء فخسروه هم مما اثر ايضا وشكل غربة والما لديه:

واول لؤم المرء لؤم اصوله

واول غدر المرء غدر خليل

ويقول ايضا:

أشكو النوائب ثم أشكر فعلها

لعظيم ما القى من الخلان

وكذلك قال عن معاناته من نفاق الاصحاب:

فكم صاحب تدمى علي بنانه

ويظهر أن العز لثم بناني

وفي وحشـة الوحدة، وهو يجتاح الارض بهمته ومجـده وعلو شـأنه واماله الكبـيرة، يصدعه الخـذلان فيرى نفسـه وحيدا ليـس له صديق، إذن ليس له منزل أو سكن.

ايضا فإن قل الصديق كان الدهر مسـؤولا عن ذلك:

توقعي أن يقال قد ظعنا

ما انت لي منزلا ولا سكنا

يا دار قل الصديق فيك فما

احس ودا ولا ارى سكنا

ويعلق عزيز السيد جاسم بأن الشريف الرضي راى نفسـه شـاردا في البـلاد دائمـا، منكـورا محرومـا جريحـا لان حبـل الوفـاء انى ذهب وتوجه يتصرم كاللعنة:

أأنكر والمجد عنوانيه

ومخبرتي عند اقرانيه

ويعرف غيري بلا ميسم

مبين ولا غرة ضاحية

ألا قاتل الله هذا الأنام

وقاتل ظني وامانيه

ودهرا يمول ذلاته

ولا يذخر العدم إلا إليه[٤٩]

ومما يزيد في غدر الأصدقاء والخلان على نفس الشريـف الرضي مرارة، أنه شـديد اللهفة على الصديق، فـروح الصداقة تغزو دمه وأعصابه وذهنـه وقلبـه وتبدو أثـار قسـوة الخيانة أو الجفاء الشـديد عليه إذا ما علمنا أنه يذكر عن نفسه أنه تحفة للصديق قائلا:

على أنني تحفة للصديق

يروح بنجواي أو يغتدي

واني ليأس بي الزائرو

ن أنيس النواظر بالاثمد

تغمض لي أعين الحاسدين

كالشمس فيناظر الأرمد[٥٠]

ولكـن قدره أنه وهو الصديـق والصادق ليس له صديق:

كفى حزنا إني صديق وصادق

ومالي من بين الأنام صديق

فكيف اريغ الأبعدين لخلة

وهذا قريب غادر وشقيق

وظلت حسرته على الصديق تنتهي دوما بمقالة حكيمة:

من لي بغرة صاحب

لا يستطيل عليه عاب

ما حارب الأيام ألا

كان لي وله الغلاب

هيهات اطلب ما يطو

ل به بعاد واقتراب[٥١]

وغربة الأصدقـاء هذه تناولها عنـاد غزوان في كتابه «بناء القصيدة في شعر الشريف الرضي» وكيف أن الأصدقاء خسروه بسـبب تصرفاتهم الـلا إنسـانية مما جعله يصـف زيفهم كما في

أبيات القصيدة الآتية:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه
أبى بعد طول الغمز أن يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا
وادمج دوني باطنا متجهما
فأبدى كروض الحزن رفت فروعه
واضمر كالليل الخداري مظلما
ولو أنني كشفته عن ضميره
أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
فلا باسطا بالسوء إن ساء لي يدا
ولا فاغرا بالذم أن رابني فما[٥٢]

فالصداقة حسب هذه القصيدة بناء اجتماعي حميم بين بني البشر، تولد عن طريق الصدفة أو الإيمان أو العقيدة أو الحاجة أو الخوف أو الجوار أو الغربة والحنين إلى الأرض والوطن وحين تولد الصداقة وتنمو تولد معها قيم ومثل أخلاقية تجعل الوجود ذا طعم وحياة...والصداقة الحقة مصدر اجتماعي مهم من مصادر دراسة طبائع الإنسان وأن الإخلال بقيم الصداقة يعني الإخلال بتركيبها الاجتماعي وهدفها الإنساني لذلك فالانعزالية أو العزلة والانطوائية والتشاؤمية والعتاب والشكوى قد تكون بعض نتائج مثل هذا الاختلال، ومن هنا فإن قصيدة الشريف الرضي هذه التي تقع في أربعة عشر بيتا الخالية من المطلع المصرع تجربة صادقة عانى منها الشريف في ضوء صداقاته وعلاقاته الاجتماعية فعبر عن معاناته نحو بعض أصدقائه.

وهنا يعلق عناد غزوان على هذه القصيدة قائلا:

«فصاحبه يبدو منافقا يقبل الرضي منه وجهه الظاهري إيمانا منه بحب الصديق والوفاء له ولا ينسى علاقاته الاجتماعية على وفق مبدأ المودة الصافية بحكم نشأته الشريفة وتربيته الأخلاقية المعروفة، في حين يضمر له ذلك الصديق وجها متجهما على النقيض من واقعه فهو في الظاهر واضح أنيس، بيد أنه في باطنه معتم مظلم، وهنا يستثمر الشريف الرضي لغة الطباق البلاغي استثمارا رائعا في رسم الصور المتناقضة لهذا الصاحب، الفكر المنافق...(تقلبت)(ادمج)(ظاهرا مبلجا)، باطنا متجهما»، ولكن الرضي يستمر في تجربته وهو يعلم سر هذا الإنسان ويعلم تقلبات سلوكه الظاهري والباطني، أي أنه خبير بسريرة وعيه ولا وعيه ولا يريد أن يبادره بالسوء، مع ما يصاحب هذا التصرف الودود من قبل الرضي من الم (ومن حمل العضو الأليم تألما) إنها صورة شعرية رائعة تنساب بعفوية وغنائية سمحة بلا تكلف واصطناع، فيصبر الشاعر متألما مع يقينه بموقف صاحبه الشائن ولكنه لا يريد لهذه الكف أن تقطع، لان الصداقة عنده حب وألفة وأخلاق ومثل رفيعة تجسدها أبيات القصيدة الأخيرة التي تظهر الرضي أوفى من الوفاء، واخلص من الإخلاص، أنها حكمة رائعة في بناء الصداقة والاعتزاز بالصديق[٥٣].

القصيدة أعلاه مهمة جدا في الواقع السيكولوجي النفسي الذي يؤثره الصديق بصديقه وتتبين لنا من خلال نهج القصيدة الأهمية السيكولوجية للصديق والصداقة كذلك للقصيدة بعد اجتماعي وذلك لان تأثيرات الصداقة لها أبعاد في التماسك الاجتماعي من خلال الترويح النفسي الذي يمثله الصديق لصديقه.

وهنا يعلق الراحل عزيز السيد جاسم عن

مفهـوم غربة الأصدقاء والألم الذي سـببوه إلى الشريـف الـرضي مشـابها بذلك مـا ورد عند الدكتـور عناد غزوان من تركيـز كلا الناقدين على جانب الغربة الروحية التي سببها أصدقاء الشريف الرضي إليه بعد الخذلان له قائلا:

وحق ما قالـه علي بن أبي طالب «اعجز الناس من عجز عن اكتسـاب الإخوان، واعجز منه من ضيـع من ظفر به منهم»، لكن الشريف الرضي وهو الأشجع كسب الأخوان فخسروه، وكم ضيع أناس خيرة الناس، وأفضل الصداقات لأسـباب تافهة، لا يعدو بعضها الغرور، أو لسماع القيل والقال، أو قبول مصاحبة أهل السوء، أو سوى ذلك، لكن الذين هجـروا الشريف الرضي، كانوا يتهيبون من علو همته وعظمة مسعاه[٥٤].

وهكذا ظل الشريف الرضي يشـكو غدر الخلان والأصدقاء، وهذا أسوأ ما يناله امرؤٌ في حياته.

امـا غربة وألـم الأقربـاء عند الشريـف الرضي فيمكن اسـتقراؤها كما ورد عند الراحل السيد جاسـم حين تحل هذه الغربـة في المرتبة الثالثة للاغتراب الاجتماعـي، فيتطوق الشريف الرضي تطويقا مريرا، لا فرار منه إلا بهرب الباكي فمن غدر الصحاب إلى غدر الأقرباء، فكأن خساسـة الزمـن وخذلان النـاس وغدر الأصدقاء،وسـوء الحـظ ومـرارة الدهر لم تكتـف بمطاردتها له وهـو الوحيـد المتغرب، فـكأن صـوت المؤامرة التي تضافر فيها الجميع يصرخ امنعوا الضفة عـن الغريـب وكانت له ضفة وأيـة ضفة الأهل والأقربون؟فإذا هم تواصلوا مع البلوى كبلوى، فأدخرهم الزمان لتحميله فوق الأذى أذى جديدا فما هو فاعل إذن؟ وإنه ليتأسى لنفسه وما نفع التأسي وقد كان غدر الأقرباء مدعاة لان لا يعجب من غدر الأصدقاء. وهذا ما قاله صريحا:

تجاذبني يد الأيام نفسي
ويوشك أن يكون لها الغلاب
وتغدر بي الأقارب والادانى
فلا عجب إذا غدر الصحاب

وأيضا يقول:

وبعض مقال القائلين مكذب
وبعض وداد الأقربين خدوع

وكذلك يقول:

ما كل نسل الفتى تزكو مغارسه
قد يفجع العود بالأوراق والثمر[٥٥]

ومـن اكبر الجفاء الذي تعـرض له الرضي من الأقربـاء مـا ناله مـن أخيه الشريـف المرتضى ويعلق عليها الدكتور زكي مبارك بما نصه:

«ولا تحدثنـا كتب التراجم عن أسـباب الجفوة التي وقعت بين ذينـك الأخوين، ولكننا نعرف أنهمـا لـم يكونـا مؤتلفـين كل الائتـلاف، لان مذاهبهمـا في الحيـاة كانـت مختلفـة بعـض الاختـلاف، ويمكـن الحكـم بأن الـرضي كان جمهـوره مـن أهـل الأدب وأن المرتـضى كان جمهـوره من أهـل العلم، وهنا تظهر أسـباب المنافسـة بين الأخوين إلى أن يقول: وقد شرب الـرضي كؤوس العلقم من يـد الزمان، رأى من البلايـا مـا انطقه بالشـعر وهـو في العشر من سـنيه، ورماه بالشيب وهو في سـن العشرين، ولكن هل تجوز الدنيا إلى هذا فيرى أخاه الشقيق وهو يمضغ عرضه بلا تورع ولا اسـتحياء هل تفسد الدنيا هذا الفساد فنرى المرتضى والرضي يتباغضان ويتحاقدان بعـد أن جمعتهما الأيام تحـت جناحـي أم رؤوم تروضهما عـلى المودة والعطف، وهي ترى الدنيا في وجهيهما حين زج زوجها في غياهب الاعتقال»[٥٦]

وها هي قصيدته الضاديـة التي يرد فيها على

قدح شقيقه الكبير المرتضى:

رضيت من الأحباب دون الذي يرضي
وداينت من تقضى الديون ولا يقضي

إلى أن يقول عن أخيه المرتضى:

إذا ما رمى عرضي القريب بسهمه
عذرت بعيد القوم إذ ما رمى عرضي[٥٧]

ولكـن فيما بعد حدث رضا بين الأخوين فكتب المرتضى إلى أخيه الرضي القصيدة التالية التي ينقلها عزيز السيد جاسم عن زكي مبارك:

تكشف ظل العتاب عن غرة العهد
واعدى اقتراب الوصل منا على البعد

إلى أن يقول:

تلين على مس الإخاء مضاربي
وإن كنت في الأقوام مستخشن الجد[٥٨]

أما في الرثاء فهنا تجتمع المأسـاة لدى الشريف الـرضي فجـزء من الغربـة التي يعيشـها هي تذكـر ما نـال أجداده الحسـين وال البيت من حيـف الدولة الأمويـة والمأسـاة التي تعرض لهـا الشريف بسـجن والده التـي أججت لديه مفاتـن الحزن حتى أضحت أحداث عاشـوراء اكبر خيانة للنبي كما يذكر عزيز السيد جاسم لأنهـا كانت محاولة لإمحـاء ذرية النبي فافرد الشريف الرضي قصائد مهمة في رثاء الحسـين وأهل بيته ومنها رثائية عاشوراء سنة ٣٨٧هـ التـي تم ذكرها فيما سـبق في ثنايـا البحث في باب اغتراب الشريف الرضي.

ولكـن المراثي لم تقتصر عند الشريف الرضي على رثاء آل البيت فلقد رثى أبا اسحاق الصابي حيث كان للصداقة والمأساة المشتركة والرابطة الأدبية كلهـا عوامل وقف عندها زكي مبارك في تفسـير الرابطة بين الصابي والرضي لذلك قال فيه راثيا قصيدة يعلق عليها السيد جاسم بأنها من روائـع المراثي المشـحونة بالمغـازي يقول الرضي:

أعلمت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى
من وقعه متتابع الازباد

إلى أن يقول:

اعزز علي بان نزلت بمنزل
متشابه الأمجاد والأوغاد[٥٩]

وبعـد مـوت الصابي بنحو تسـع سـنين مر الشريف الرضي على قبره فقال:

لولا يذم الركب عندك موقفي
حييت قبرك يا أبا اسحاق
إن تمض فالمجد المرجب خالد
أو تفن فالكلم العظام بواقي[٦٠]

وتبقى الحقيقة الماثلة في شعر مراثي الشريف الـرضي والمتمثلة بمقاتـل الطالبيين والفجيعة الحسـينية الكبرى كما يسـميها السيد جاسم ويطلق عليه لقب«ثنائي المجد والفجيعة» مما جعل شعره يتناول الرثاء بشكل أساسي ومهم كما إن مقتل آل البيت كما يقول السـيد جاسم بأيدي أناس كانوا يدعون الإسـلام هذا أعطى للمأسـاة بعدا فجائعيا لم يتكـرر في التاريخ، فلـم يرو احد في جميع مراحل التاريخ أن بشرا يقتلون أهل بيت نبيهم وباسم خلافة الدين إلا في مناسـبة واحدة هي ملحمة عاشـوراء وهذا جانب ديني يتناوله السيد جاسم.

اما الرثاء لدى الشريف الرضي في نظر الدكتور عناد غـزوان فيعتبرهـا من الفنون الشـعرية الغزيـرة لديـه التـي تضطـرد في ديوانه بعد مدائحـه وقد أجـاد فيها الرضي إجادة شـاعر فنان رقيق العاطفة ملتـزم بالوفاء في علاقاته

الاجتماعيــة العامــة والخاصة فهــي مرثاة في آل بيتــه وأقربائــه أو في أصدقائه وخلانه أو في الخلفــاء والأمراء والساســة والعلمــاء والأدباء المعروفــين في عصره، وهي مرثــاة تفصح عن رأيــه في دنياه وتشــهد بأنــه كان يشــعر بأن نهايته قريبــة وأن متاعه في الحياة قليل وفيها بــأس مــن وفــاء الباكــين[٦١] وهو مــن خلال مشاعرها الحزينة وأنات وجدها وآهات أساها يبدو وكأنه يرثي نفسه ويظهر هذا الإحساس في مراثيــه التــي خص بهــا أهل بيتــه فهو في مرثاتــه المشــهورة في أمــه بلغت هــذه المرثاة ثمانية وســتين بيتا – يظهر فخره وحماســته التــي لا تفارقــه في أكثــر مراثيه حتــى لتبدو مرثاتــه ذات مقدمــة حماســية وان كانت اقل مــن حماســته في مدائحه، وليــس ذلك بغريب فلعل فرقاً ما بين الموقفين ينسي الشاعر ثورته، وبكلمة أدق يجعله يمزج هذه الثورة بالنشيج ويصبغهــا بالندب والنواح[٦٢] ففي هذه المرثاة يبدو فخورا متحمســا برنة حزينة على فقدان أمه الغالية الحنون:

لو كان يدفع ذا الحمام بقوة
لتكدست عصب وراء لوائي

وسرعان ما يهدأ هذا الحماس ليصور مأســاته وكأنــه يرثــي نفســه وخيبــة املــه في الزمان والحياة والدنيا:

كم زفرة ضعفت فصارت انة
تممتها بتنفس الصعداء
لهفان انزو في حبائل كربة
ملكت على جلادتي وغنائي

بــين مراثيه الذاتية والعامــة قصيدتان في رثاء الحــيرة وال المنــذر بن مــاء الســماء –جديدتا المضمون في هذا الباب ويمكن ان نصطلح على مثل هذا المضمون بمرثاة المدينة او رثاء الماضي وهو المضمون الذي يمثل مدى ارتباط الشاعر بارضه وعمق انتمائه لقومه وعروبته[٦٣].

قال وقــد اجتاز بالحيرة يرثي ال المنذر بن ماء السماء:

اين بانوك ايها الحيرة
البيضاء والموطئون منك الديارا
والالى شققوا ثراك من
العشب واجروا خلالك الانهارا
المهيبون بالضيوف إذا هب
ت شمالا والموقدون النارا[٦٤]

ويعلــق عليها عناد غــزوان قائلا: «تتالف هذه المرثــاة من خمســة عشر بيتا ليســت مصرعة المطلع، يبدأ الشــاعر ســؤاله عن بنــاة الحيرة الاوائل من المناذرة وهو ســؤال يثير في نفســه حســرة على المجد القديم، الحــيرة البيضاءالتي كانت زاهيــة بنهضتها وخصبهــا وحضارتها ورجالها –حسب رؤية عناد غزوان التاريخية– الموقدين النار لضيوفهم نار القرى المعروفة في التاريــخ العربي، وكلما هــدأت النار اطعموها بالعيــدان الطيبــة برائحتهــا لتبقــى نابضــة متوقــدة بديمومة الحياة يشــمها من راها على بعــد فيقصدها من اضل الطريــق من الغرباء والضيــوف ويقصــد اهلها الشــجعان الاماجد حمــاة تلك الأرض»[٦٥]، اما النونية وهي المرثاة الثانيــة فمؤلفة من ســتة وثلاثين بيتا ليســت مصرعة المطلع نظمها الشاعر بعد خروجه من الكوفة لزيارة مشهد الإمام علي وعرج الى الحيرة فطافهــا ونظر عجيــب اثارهــا وبنائها وراى الضيــاء في عرصاتها وذلك في ٣٩٢هـ. ويقســم عناد غزوان هذه المرثــاة إلى ثلاث لوحات فنية الاولى يصفها بلوحة الذكرى ومطلعها يقول:

ما زلت اطرق المنزل بالنوى
حتى نزلت منازل النعمان

وتستمر حتى البيت السابع عشر.

اما ماضي الحيرة فيجسده بقوله:

ورايت عجماء الطلول من البلى
عن منطق عربية التبيان
باق بها حظ العيون وانما
لاحظ فيها اليوم للاذان

امــا اللوحة الثانية فتبدأ من البيت الثامن عشر

وحتى البيت الثلاثين:

امقاصر الغزلان غيرك البلى

حتى غدوت مرابض الغزلان

اما تعانق الفخر والحماسة والدموع تعانقا يمثل نفسية الشريف الرضي في حبه للجسد وتعلقه بهذا الماضي الذي يمثل ركنا مهما من اركان فكره الافتخاري وعاطفته الحماسية ومشاعره الصادقة، حيث تبدأ اللوحة الثالثة التي تبدأ من البيت الحادي والثلاثين الى نهاية القصيدة:

نعق الزمان بجمعهم عن لعلع

واقض منزلهم على نجران

وكال جفنة ازعجتهم نبوة

نقلت قبابهم عن الجولان

وعلى المدائن جلجلت برعادها

عركا لكلكلها على الايوان

والى ابن ذي يزن غدت مرحولة

نفضت حريتها على غمدان

زفر الزمان عليهم فتفرقوا

وجلوا عن الاوطار والأوطان[٦٦]

والبيت الاخير الذي مر ذكره هو رثاء الماضي الذي انتهى بانتهاء أولئك الأفذاذ من الرجال.

إن قصيدة الرثاء عند الشريف الرضي قد تبدو ذات مقدمة حماسية او فخر ذاتي وخيبة أمل وشكوى من الزمان مع احتفاظها بوحدتها المضمونة أو قد تكون مرثاة مباشرة لا أية مقدمة أو مقدمة قد تكون مرثاة مدينة متميزة بمضمونها وأبعادها السياسية والأخلاقية. وبالتالي فإن كلا الناقدين عناد غزوان وعزيز السيد جاسم قد قرا الشريف الرضي من خلال شعره واشتركا في جوانب الرثاء عند الشريف الرضي والفخر والحماسة والاغتراب في شعره والشيب الذي تميز به الشريف الرضي حتى غدا مقروءا عند كلا الناقدين ولكن تميز كل منهما ببعض الاختلافات في القراءة والتي سنشير اليها:

١-مدائح الشريف الرضي ركز عليها الدكتور عناد غزوان ولم يركز عليها عزيز السيد جاسم بل لم يذكرها وقسمها عناد غزوان إلى ستة أقسام كنا قد أشرنا إلى بعض منها في سياق بحثنا ونلخصها بالتالي:

أ-مدحة تخلو من مقدمة مخصصة ولكن تتخللها اشارات الى الفخر الذاتي قال في مدح الخليفة الطائع لله سنة ٣٧٧هـ:

جزاء امير المؤمنين ثنائي

على نعم ما تنقضي وعطاء

اقام الليالي عن بقايا فريستي

ولم يبق منها اليوم غير ذماء[٦٧]

كذلك مدحته في خاله ابن الحسين احمد الناصر:

لكل مجتهد حظ من الطلب

فاسبق بعزمك سير الانجم الشهب

وارق المعالي التي اوفى ابوك بها

فكم تناولها قوم بغير ابي[٦٨]

ايضا المدائح التي كالها إلى الخليفة القادر بالله سنة ٣٨٣هـ:

شرف الخلافة يا بني العباس

اليوم جدده أبو العباس

وافى لحفظ فروعها وكنيته

كان المشير مواضع الاغراس

ويقول مادحا:

لله ثم لك المحل الأعظم

واليك ينتسب العلاء الأقدم

ولك التراث من النبي محمد

والبيت والحجر العظيم وزمزم[٦٩]

ب-مدحة تبدا بمقدمة حماسية على ما يشير عناد غزوان ذاتية كقوله في مدح الطائع سنة ٣٧٨هـ:

لو على قدر ما يحاول قلبي

طلبي ولم يقر في الغمد عضبي[٧٠]

او مدحته في ابيه سنة ٣٧٧هـ:

لغام المطايا من رضابك اعذب

وبنت الفيافي منك اشهى واطيب[٧١]

أو مدحتــه في الصاحــب بن عباد ســنة ٣٥٧هـ التي بلغت ثلاثة وسبعين بيتا:

اباء اقام الدهر عني واقعدا
وصبر على الايام انأى وابعدا(٧٢)

أو مثل مدحته في ابي سعيد بن خلف سنة ٣٧٦هـ:

امن شوق تعانقني الاماني
وعن ود يخادعني زماني(٧٣)

ت-مدحــة تبــدأ بالمقدمــة والشــكوى والفخر بصورة غير مباشرة كقوله في مدح بهاء الدولة سنة ٤٠٠هـ:

حييا دون الكثيب
مرتع الظبى الربيب
واسالاني عن قريب
في الهوى غير قريب(٧٤)

او مدحته في ابيه: سنة ٣٧٥هـ:

يا دار ما طربت اليك النوق
إلا وربعك شائق ومشوق(٧٥)

ث-مدحــة تبدأ بذكر المشــيب مبــاشرة ومنها قوله في مدح الوزير ابي منصور بن صالح وقد ورد ذكرها في بحثنا فيما سبق.

ومنها ايضا: مدحته في ابي سعيد بن خلف:

الان جوانبي غمز الخطوب
واعجلني الزمان إلى المشيب
وقالوا: الشيب زار فقلت: اهلا
بنور ذوائب الغضب الرطيب(٧٦)

د- مدحــة بمقدمــة ذاتية حزينــة فيها وصف هموم الشــاعر والامه كمدحته في ابي علي: وقد وردت في ثنايا البحث اعلاه.

ذ- مدحة على شكل شكر وثناء بمقدمة تصف طيف الحبيب كقصيدته التي يشكر بها الشيخ ابا الفتــح عثمان بــن جني النحــوي. وقد مر ذكرهــا في ثنايا البحث فنــرى مما ورد اهتمام الناقد عناد غزوان بالمديح عند الشريف الرضي وعدم اهتمام عزيز السيد جاسم بهذا الغرض.

٢- اهتمام عزيز الســيد جاسم بالغزل والحب في شــعر الشريف الــرضي وعدم تطــرق عناد غزوان لهذا الموضوع في شــعر الشريف الرضي بتاتا لذلك يعلق السيد جاسم على هذا الموضوع قائلا: «إن حبه للمرأة كان من نور جنس مشع بالحب ممتلىء بالعاطفــة والبشر في طبائعهم يتباينون فبعضهم خلــق الوفا محبا والبعض الاخر خلق مبغضا لئيما والبعض الثالث موزع بين الاثنين يحب حينا ويبغــض حينا»(٧٧) ولو أن الســيد جاســم يــزجٌ زجا قضيــة حبه لامه ضمن العشق وينقل مراثيه عنها وهذه المسألة تعد خارج موضوع العشق لديه كان من الاولى على الســيد جاســم نقل الرثاء عــن أمه ضمن أبواب الرثاء.

وقــد ذكر الســيد جاســم الشــواهد الآتية عن الشريف الرضي فيما يخص الغزل والحب:

يقول الشريف الرضي:

وما كنت ادري الحب حتى تعرضت
عيون ظباء بالمدينة عين
فوالله ما ادري الغداة رميننا
عن النبع أم عن أعين وجفون

وقوله:

يا صاحبي تروحا بمطيتي
إن الظباء بذي الاراك سلبنني
سيرا فقد وقف الطعين لما به
مستسلما ونجا الذي لم يطعن
ما سرني وقنا اللحاظ تنوشني
أني هناك قتيل غير الاعين

كذلــك يقــول الرضي حســب مــا اورد الســيد جاسم:

وما الحب الا ذلة واستكانة
لمولى ارى اعزازه ويرى ذلي(٧٨)

فكأنمــا الشــعراء القدامــى كانــوا متأثريــن بالذئب وكونه قريباً منهم في البادية مما يسهم اسهامة كبيرة أن تكون موضوعة الذئب داخلة في قصائد الشعراء.

وهذه المســألة تناولها عناد غــزوان بقوله«بيد أن الذئــب في القصيدة بلونــه وحركته وحذره وجوعه لا يختلف عن اوصاف الذئب في تجارب الشعراء الاخرين الذين سبقوا الشريف الرضي إلا أن قصيــدة الشريــف تنفرد بصــورة فنية بارعة جسدها البيت السابع:

إذا فات شيء سمعه دل انفه
وان فات عينيه راى بالمسامع

حـين جعل الشريف حواس ذئبه متوثبة يقظة متحركـة متحـدة بحاسـة واحـدة من شـدة الحذر والتوتر وعنفوان الجوع فحاسـة الشم هي حاسـة السمع وحاسـة السمع هي حاسة البـصر، فهـو ذئب يـرى بمسـامعه وهو على الرغم من كل ذلك يعود خائب الامل فلا يحص على شيء حيث تنتهي اللوحة نهاية ماسـاوية تقليدية»[٧٩].

في نهايـة هذه الدراسـة عـسى أن نكون قد قدمنـا صـورة واضحـة عمـا بذلـه الناقدان عناد غـزوان وعزيز السـيد جاسـم من بحث حول شـعر الشريف الرضي المتشابك المترامي الاطراف والاغراض وعـسى أن نكون قد وفقنا في اجـراء نقـد موضوعي حـول ارائهـم التي وردت في شعره والاماكن التي اغفلوها من هنا وهناك وتمت الاشارة اليها من قبلنا.

بالنتيجـة فـإن ما بذله كلاهمـا لا يعدو أن يكون بحثا تمحيصيا لشعره والساحة المعرفية النهضويـة التي تخص قراءة شـعر الشريف الـرضي ما زالـت بحاجـة إلى قـراءة وقراءات متعـددة من قبل النقاد لفرز ما نطمح أن نراه من تراث الشريف معينا لنا في نهضة مجتمعنا لاسـيما رؤى التسـامح لـدى الشريف الرضي ورؤى المعرفـة والابتعـاد عن شـعره الخاص بالفتوة كما ورد لدى بعضهم والخاص بكيفية مناجزة الاعـداء ورؤى الانتقام والعنف والتي تكلمنا عنهـا في بحثنا انف الذكـر، وكل بحث هـو قابل للصواب والخطـا املين ان نكون قد وفقنا في هذه الدراسـة واستطعنا ان نركز على الجوانب الايجابية التي وردت في شـعر الرضي من خلال الدراسـة التي قـام بها كل من عناد غزوان وعزيز السيد جاسم ولا يخفى جهد كل منهما في السـاحة المعرفية الثقافيـة العراقية النهضوية.

●الهوامش

(١)الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص١٦٣.
(٢)زكـي مبارك،عبقريـة الشريـف الـرضي، مكتبـة الدراسات الأدبية، القاهرة،١٩٥٢ ج١ /ص١٥.
(٣)عنـاد غـزوان، بنـاء القصيـدة في شـعر الشريف الرضي، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠٨، ص١٤.
(٤)عزيـز السـيد جاسـم، الاغـتراب في حياة وشـعر الشريف الرضي، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٧، ص٣٢.
(٥)د.عناد غزوان،مصدر سابق، ص٢١.
(٦)عزيز السيد جاسم /مصدر سابق، ص١٥.
(٧)ديوان الشريف الرضي، المجلدان الأول والثاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م. ص٦٤٥-ص٦٤٦.
(٨)الديوان، ص٥٢٦.
(٩)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق،ص ١٦.
(١٠)الديوان، ص٢٣٧.
(١١)ذكرت لدى عناد غزوان، مصدر سابق، ص٢٤.
(١٢)الديوان، م١،ص١٨-٢١.
(١٣)عناد غزوان، مرجع سابق، ص ٦٥.
(١٤)الديوان،م١، ص٣١٠.
(١٥)م٢، ص١٦٦.
(١٦)عناد غزوان، مصدر سابق، ص٦٧.
(١٧)عناد غزوان، المرجع السابق، ص٨٠.
(١٨)الديوان، م١، ص١٠٧,
(١٩)الحماسة في شـعر الشريف الرضي،محمد جميل شـلش، وزارة الثقافة والإعـلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.ص١٤٩.
(٢٠)زكي مبارك،عبقرية الشريف الرضي، ط٤،مكتبة الدراسات الأدبية، القاهرة، ١٩٥٢ ، ج١ /ص ١٨١.
(٢١)الديوان، م١، ص٢٥٤-٢٥٦
(٢٢)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق،ص٩٨.
(٢٣)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٧٩.
(٢٤)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٨٢-٨٣.
(٢٥)عزيـز السـيد جاسـم، مصـدر سـابق، ص٨٥ وص٨٦ وص٨٧ .
(٢٦)يـاسر جاسـم قاسـم، مشـكلات الحضـارة وتاسيسـات مالك بن نبي فيها، دراسة بحثية، جريدة الزمان الدولية، التاريخ،١٣/٣/٢٠١٥.

(٢٧)عزيـز السـيد جاسـم، مصـدر سـابق، ص١٠ وص١١.
(٢٨)المصدر نفسه، ص١٥.
(٢٩)الديوان،ص٦٥٨وص٦٦٠.
(٣٠)الشريف الرضي، الديوان،ج٢،ص٦٥١-٦٥٤.
(٣١)الديوان، المجلد الثاني، ص٢٢٤وص٢٢٥.
وينظـر: عزيـز السـيد جاسـم، ص١٧٣، ص١٧٤، ص١٧٥.
(٣٢)طبعا يركز عليه الشريف الرضي بداعي الاغتراب فللشـيب دلالة الاغتراب وسـوء الزمـن في حياته، فهو شـيب المعاناة الانسـانية الشـديدة التي لا يعرفها الا الذيـن تفجـرت قلوبهم بالحـب والشـهامة والعطف والاكرام، معاناة الاباة الاحرار يقول الشاعر:/

وما شاب راسي من سنين تعددت
ولكن راسي شيبته المصائبُ

(٣٣)الديوان، م٢،ص٢٢٤-٢٢٥.
(٣٤)علمـا أن قضية المديح لـدى الشريف الرضي في حـق الخلفـاء وبعض الشـخصيات أوردهـا د.عناد غـزوان بشـكل تفصيلي كما سـنرى في القـادم من البحـث، أما عزيز السـيد جاسـم فلم يتطـرق اليها مطلقـاً.
(٣٥)الديوان م١، ص٦٤.
(٣٦)الديوان، م١، ص٩٣
(٣٧)المصدر السابق نفسه، ص١٠٢.
(٣٨) المصدر نفسه، ص٥٩٩.
(٣٩)المصدر نفسه، مجلد٢، ص١٢٤.
(٤٠)المصدر نفسه ص ١٥٥.
(٤١)المصدر نفسه، ٥١٦.
(٤٢)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص١٧٤.
(٤٣)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٣٨.
(٤٤)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٣٩.
(٤٥)الديوان، طبعة صادر، م/١، ص٦٩.
(٤٦)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٩٩.
(٤٧)المرجع السابق، ص٦٠.
(٤٨)المرجع السابق، ص٦٠.
(٤٩)عزيز السيد جاسم،مصدر سابق، ص١٠٥.
(٥٠)المصدر السابق، ص١٠٦.
(٥١)المصدر السابق، ص١٠٦.
(٥٢)الديوان، صادر، ص٢٢٤-٢٢٥.
(٥٣)الدكتور عناد غزوان، مرجع سابق، ص٩١-٩٢.
(٥٤)عزيز السـيد جاسـم، مرجع سـابق، ص١٠١-١٠٢.
(٥٥)المصدر نفسه، ص١٠٧-١٠٨.
(٥٦)د.زكي مبـارك، عبقرية الشريف الرضي، مصدر سابق.
(٥٧)المصدر السابق نفسه.
(٥٨)عزيز السـيد جاسـم، مصدر سـابق، ص١١١-١١٢ نقلا عن زكي مبارك.
(٥٩)عزيز السيد جاسم، مرجع سابق، ص٧١.
(٦٠)المصدر السابق، ص٧٥.
(٦١)عبقريـة الشريف الرضي، د. زكـي المبارك.،ج٢، ص١٨٦-١٩١.
(٦٢)الديوان، صادر، م١.
(٦٣)عناد غزوان، مرجع سابق، ص٦٩.
(٦٤)الديوان، م١، ص٥٠٩-٥١٠.
(٦٥)عنـاد غـزوان، بنـاء القصيدة في شـعر الشريف الرضي، مصدر سابق، ص٧١.
(٦٦)الديوان، المجلد الاول، ص٤٦٨-٤٧١.
(٦٧)المصدر نفسه، ص٩-١٣.
(٦٨) المصدر نفسه، ص١٣-١٨.
(٦٩) المصدر نفسه،المجلد الثاني، ص٣٤١-٣٤٦.
(٧٠) الديوان، م١، ص٥١-٥٣.
(٧١) الديوان/م١، ص٧٩-٨٣.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٢٨٠-٢٨٥.
(٧٣) المصدر نفسه، م١، ص٥٠٠-٥٠٤.
(٧٤) المصدر نفسه ص٥٧-٦٠.
(٧٥) المصدر نفسه، م٢، ص٤٩-٥٣.
(٧٦) المصدر نفسه، م١، ص١٠٢.
(٧٧) عزيز السيد جاسم،م رجع سابق، ص١٣١.
(٧٨) المرجع السابق، ص١٣٨.
(٧٩)عناد غزوان، مرجع سابق، ص٨٦.

Al-Sharif Al-Radhi between Inad Ghazwan and Aziz Al-Sayed Jasim

A comparative study

By: Yasser Jassim Qasim

Researcher and academic / Iraq

Abstract

The research deals with the Abbasid poet Al-Sharif Al-Radhi through a comparative study between what was discussed by the absent thinker Aziz Al-Sayed Jassim and what he discussed about his poetry Depending on al-Sharif al-Radhi's alienation by addressing this issue from all aspects of political and social alienation and the national root of political alienation, And what the critical Dr. Inad Ghazwan touched on adopting the talk about the technical construction of the Sharifian poem Through studying the artistic construction of the Arabic poem before Islam until the Abbasid era And how the Al-Sharif Al-Radhi's poem developed according to the evolution of poetry through these stages.